

دمية القصر

هذا سُروري بأبي عامر ... مُغرِّقي في لُجّه الغامر .
فتىً إذا جراهُ في مَفْخَرٍ ... مُساجلُ خاطِرٍ بالخاطر .
النثرُ جسمٌ وهُوَ روحٌ له ... والذِّظْمُ عينٌ وهو كالناظر .
فمما أنشدني لنفسه من شعره الذي يغدو ويروح ممتزجاً بالروح قوله في الغزل :
نفسي الفداء لشادنٍ ... بلاواه عِنْدِي تُسْتَحَبُّ .
فإذا بَلوتُ خِلالَه ... فالماءُ يُشْرِبُ وهُوَ عَذْبٌ .
وإذا نَصوتُ ثيابه ... فاللوز يُقَشِّرُ وهُوَ رَطْبٌ .
وقُصارُ وَصْفِي أَنه ... فيما أُحِبُّ كما أُحِبُّ .

قلت : هذا و[] وصفٌ تتطالع إليه الأحداق وتتحلب عليه الأشداق وله أيضاً :
صَبحتُ مَعهدَ أُنسي ... أرومُ تَرويحَ نَفسِي .
فحينَ وافيتُ قالوا : ... قد فارقَ الشيخُ أَمسَ .
فأظلمَ اليومُ عِندي ... وكدتُ في الحالِ أُمسي .
فيا مَسَرَّةَ قَلبي ... ويا هِلالِي وشَمسي .
أستجيزُ فِراقِي ... من دونِ تَزويدِ أُنسي .
وأنتَ أنتَ ووُدِّي ... ما قد علمتَ وبَسِّي .
الشيخ الرئيس .

أبو المحاسن سعد بن محمد بن منصور .

الإمام المختلف إليه والهمام المُتَّفَقَ عليه . لم تُخْرَجَ فتىً مثله الفَتَيان ولم تَرَ
العيون نظيرَه في الأعيان . واتَّفَقَ أنِّي خيِّمتُ في معسكر السلطان الشهيد طُغْرُلُوكْ بك هـ
بظاهر جرجان . وكنتُ يومئذ مُرَشِّحاً لِدِيوانِ الرسالة وموشِّحاً بجشمة الكتابة .
والوزير رئيس الرؤساء الصاحب أبو عبد الله الحسن بن علي بن ميكائيل يَجذبُ بصَدْعِي من
بين نُظراتِي وَيَخُصُّني بالرعاية والعناية من بين أكفائي .

ولعلَّ الرئيس أبا المحاسن رحمة الله عليه كان سمع بخِيارِي أو وقف على أثري فَحَصَرَ
ديوانَ الوزارة ودلَّتْهُ الفِراسةُ عليَّ فقسم طرْفَه بين طَرَفِي وهو متردِّدُ الرأْي بين
الشكِّ واليقين متشعِّبُ المذهب بين التحقيق والتخمين . فابتدأ تَهُّهُ بالسلام وقرئتُ ماثلاً
أمام ذلك الإمام وقلت : " أنا ذاك الذي طننتَ وأنت في صدق الفِراسة أنت . فأقبلَ عليَّ
وقبَّلَ بين عيني " وقال : " مرحباً بقادم له عندنا محلُّ الإخاء " فقلت : " قادمٌ

ولكن بالخاء " . فتعجب من حضور جوابي وأُعجبَ بي وبآدابي وأثنى عليّ في ديوان الوزارة بما طرّزَ به كمُّ جاهي وقد رى شرح للرأي الصاحبي من أحوالي ما انشج له قلبي وصَدري . وزُرته في مقرِّ عزِّه بجُرْجان من الغد ورتَّعتُ عنده في ظلِّ الرِّغْد . وتجاذبنا أهداب المذاكرة بياضَ نهارنا وشِطراً من سوادِ ليلنا ؛ وجرى بيننا من الفوائد ما تخيَّرته الغَواني لأوساط القلائد . ومدحته بعد ذلك بقصيدة دالية مطلعها : .
عجبتُ لطيفها أنسى تَصدِّي ... وأومضَ بالتواصل ثم صدَّأ .
نصبتُ لصيده أشراكَ نَوَمي ... وصاحَ الانتباهُ به فَنَدَّأ .
هو الطاووسُ زِيَّاءٌ واخْتيالاً ... ولكنْ كالقَطَا ليلاً تَهْدِي .
فلمَّا بلغتُ هذا البيت قال : " ما أحسن ما جمعتَ في المعنى بين هذين الطائرين ؛ قد طيَّرتَهُما على السنة الرُّوَاة سائرين " وتخلَّصتُ إلى المدح فلمَّا سمع قولي فيه : .
عَلا هِمَّماً فليس يَهشُّ إلا ... إلى قُرُصِ السماء إذا تغدَّى .
هزَّ إليَّ مَلائِخَ العِمامةِ وشهد لي في الصنعة بالإمامة . حتى انتهيتُ إلى قولي : .
مِنَ القومِ الذينَ إذا استُمدُّوا ... نَدَى فَضَحوا الخِصمَ المُستمدِّأ .
فَلا وَدَّوا أراسِ العِزِّ شَجَّأ ... ولا شَجَّوا بدار الهُونِ وُدَّأ .
قال : هذا مقلوبٌ ترتاح إليه أسمعُ وقلوبُ . واتفق أتي أنشدتُ هذه المِدحة في الجامع بجُرْجان بعد الانتقال من المكتوبة وانقضاء المجلس المعقود للنظر ومن الحاضرين هناك الشيخُ أبو عامر أدام □ فضله وهو المعنيُّ بكلامي ؛ بمَشُّطِ أصداعه ويخلُطُ أصباغه ويُعَمِّرُ بلسان التحسين نَوَاحيه ويخلِّقُ بأنشام التَّزيين أقاحيه